وحنكته وسياسته العسكرية التي اذهلت العقول ، وبفضل كل ذلك كان النصر حليف المسلمين في اغلب تلك المعارك.

ومن معالم سيرته (صلى الله عليه واله وسلم) الحربية:

كان اقرب المسلمين الى العدو وانه كان ملاذهم اذا احمر البأس واشتد الضراب. وان منهجه كان يقوم على تقديم اهل بيته (عليهم السلام) قبل غيرهم للجهاد ومبارزة الاعداء. وقد " جاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر" وقد كان في جهاده النموذج الامثل الذي تخطى المقاييس والامثلة، اذ تفانى في مقارعة اعداء الله، و" وقَاهَرَ أَعْدَاءَه جِهَاداً عَنْ دِينِه، لَا يَثْنِيه عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِه، والْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِه" لان الله أبى الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.

ب . ان سيرته الحربية لم تبتن على التغلب والتسلط بل كانت لنجاة الانسان من الضلال: " فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، ويُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ".

مراعاته للجند وحرصه على تتبع امورهم ومعاملتهم بانسانية ملؤها الرحمة والشفقة " يَحْسِرُ الْحَسِيرُ ويَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْه حَتَّى يُلْحِقَه غَايَتَه، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيه، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، واسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ " .

اساليب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في دعوته

لقد كانت رسالة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) رسالة تغييرية اجتماعية، فلا بد ان تنفذ الى اعماق الفكر والنفس الانسانية وتستخرجها من ظلمات الوهم والجاهلية والعصبية الى نور العلم والمعرفة والايمان واليقين ، والى نور القيم الرفيعة السامية. لذا في عدة مواضع من كلام الامام (عليه السلام) نجده واصفا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بصفات تعكس اثر وجوده الطيب المبارك الذي اصلح حال المجتمع ونقله تلك النقلة النوعية الفريدة، إذ يصفه قائلا: " أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، والْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ " وفي موضع آخر نراه يقول : " حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ" " سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُه ، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُه ، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُه" الى غيرها من النصوص التي تناثرت في طيات هذا البحث.

وكان من الطبيعي ان تختلف منطلقات وأساليب وألوان المواجهة من قبله (صلى الله عليه واله وسلم) تجاه قومه وسائر من شملته دعوته الى الايمان بنبوته، والتي يمكن تقسيمها الى محاور ثلاث:

المحور الاول: اسلوب النصح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

يقول (عليه السلام) : " فَبَالَغَ – صلى الله عليه وآله - فِي النَّصِيحَةِ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ" . هذا النص يتضمن الاشارة الى منهجين من مناهج النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في دعوته:

الاول: المبالغة في النصيحة: النصح: تحري فعل او قول فيه صلاح صاحبه، ونصحت له الود، أي اخلصته. والنصح هو الخلوص من الغش، فهو يقابل الغش سواء كان في قول او عمل او أي امر آخر، واما الخلوص : فيلاحظ فيه التصفية عن الشوب، فهو انما يتحصل بعد التنقية والتصفية، ومن مصاديقه: في العمل: كالخدمة والتبليغ في الله بخلوص وصدق . وفي القول: كإبلاغ الاحكام وذكر الحقائق الالهية.

وقد تحدث القران الكريم عن مواقف الانبياء في مقام النصح لاقوامهم في آيات عدة ، وكان من وظائفهم ابلاغ ما امروا به في مقام الرسالة، والعمل الناصح الخالص المؤدي الى السعادة . وهذه حقيقة قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ))

وكلام امير المؤمنين (عليه السلام) عن دور النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في هذا المجال واضح في انه قد ادى ذلك على اتم وابلغ وجه ، بدليل قوله " فبالغ " في النصيحة أي اخلص تمام الاخلاص . وتجدر الاشارة الى ان من آداب النصح اخذ المنصوح بالرفق ولين الكلام وعدم التقريع . وهذا قد تحقق في منهج النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وطريقة تعامله بالرأفة والرحمة والمداراة لمن حوله حتى استجلب القلوب والعقول اليه ، بدلالة قوله تعالى : ((وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) وقد مر بنا الاشارة الى سجية من سجاياه (صلى الله عليه واله وسلم) وهي " الرحمة " التي من مصاديقها هذه الاساليب الرحيمة مع من حوله (صلى الله عليه واله وسلم) .

الثاني: دعا الى الحكمة والموعظة الحسنة: امتثالا لأمر الله تعالى : ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)). الحكمة هنا بمعنى العلم والمنطق والاستدلال ، فاول خطوة على طريق الدعوة الى الحق هي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم ، او النفوذ الى داخل فكر الانسان ومحاولة تحريك وايقاظ عقولهم، كخطوة اولى في هذا الطريق.

وقيل في معنى الحكمة هنا وجوه عدة : القرآن ، وسمى القرآن حكمة لانه يتضمن الامر بالحسن والنهي عن القبيح ، واصل الحكمة المنع ، ومنه حكمة اللجام ، وانما قيل لها حكمة لانها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار، وقيل: ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الافعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد ، لانه بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الافعال والاقوال.

اذ كان من اهم اساليب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) المحاجة بالبراهين والادلة المنطقية والعقلية ، وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: " أَرْسَلَه بِوُجُوبِ الْحُجَجِ"، وقوله: " أَرْسَلَه بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ومَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ودَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ" التي توافرت في كتاب الله " القران الكريم " وهو الناطق الذي لا يعيا لسانه كما وصفه (عليه السلام) .

وبين (عليه السلام) انه من اهم ادوات النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في التغيير والاصلاح: " ابْتَعَثَه بِالنُّورِ الْمُضِيءِ والْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، والْمِنْهَاجِ الْبَادِي والْكِتَابِ الْهَادِي" ، وفي قول: " إِنَّ اللَّه بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وأَمْرٍ قَائِمٍ" ويقول (عليه السلام) : " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْه الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُه".

كان القران الكريم باسلوبه المنطقي ومنطقه الرائع وبلاغته الفائقة يجيب على التساؤلات ويقدم الحجج والبراهين للعقل الانساني ويبشر وينذر ويرسم للانسان آفاق المستقبل الذي ينتظره بعد هذه الحياة الدنيا.

وقد كان الهدف الاول للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) هو البناء العقيدي على اساس متين ، وقد سعى لتحقيقه بشتى الطرق ، وقد افلح في ذلك حينما قرن حججه الدامغة بالحلم والصبر والجهاد المستمر في الدعوة مهما قست الظروف عليه (صلى الله عليه واله وسلم) .

اما الخطوة الثانية فاستخدام اسلوب " الموعظة الحسنة " وهو نداء وحث روحاني يعلو بالانسان نحو الكمال ، ويدعوه الى ترك ما عليه من سوء وغفلة، وعدم الخروج عن الغاية والهدف من الخلقة. ولاهمية هذه الطريقة في الهداية، امر الله تعالى نبيه بان تكون دعوته مقترنة بالموعظة الحسنة، وذلك لما لها من اثر فعال ودقيق على تحريك وجدان وعاطفة الانسان. وان تقييد " الموعظة " بقيد " الحسنة " لعله اشارة الى ان النصيحة والموعظة انما تؤدي فعلها على الطرف المقابل اذا خليت من اية خشونة ، او استعلاء وتحقير التي تثير فيه حس العناد واللجاجة وما شابه ذلك. فالدعوة بالحكمة تعني الدعوة بالبرهان والدعوة بالموعظة تعني الدعوة بالخطابة و" الحكمة " تستثمر البعد العقلي للانسان ، و" الموعظة الحسنة " تتعامل مع البعد العاطفي له .

المحور الثاني: استخدام القوة والمواجهة العسكرية.

لما اسس النبي (صلى الله عليه واله وسلم) دولته المباركة على قاعدة ايمانية صلبة استخدم الى جانب المنطق سلاح القوة دفاعا عن كيانه الفتيّ، ومقابلة السلاح بالسلاح والقوة بالقوة بعد ان يئس من جدوى سائر الوسائل التي استخدمها في العهد المكي إذ تمادى المشركون في العناد واللجاج، فكانت القوة هي الاداة الوحيدة التي يفهمها العدو، حتى استطاع ان يرفع الحواجز المادية التي كانت تكبل كثيرا من العقول والنفوس وتمنعها من العود الى فطرتها النقية واختيار طريق الاسلام النقي. يقول (عليه السلام): " فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه " " غَيْرَ نَأْكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ " و" فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّه ، غَيْرَ وَانٍ ولَا مُقَصِّرٍ، وجَاهَدَ فِي اللَّه أَعْدَاءَه ، غَيْرَ وَاهِنٍ ولَا مُعَذِّرٍ".

وقد كان (صلى الله عليه واله وسلم) باساليبه العسكرية الفذة قد اعطى النموذج القيادي الامثل في استخدام القوة مع العدو.